

صفحة من تاريخ البصرة والمنتفق

من رحلة للمسّـر توماس هوويل البريطاني (١)

خلال سنة ١٧٨٧-١٧٨٨ م

Une Page de L'Histoire de Basrah.

للتاريخ نفع لا يجهله الكثيرون ولذا لمن لهم ميل الى الوقوف على اخبار من سلف . واهم غايات التاريخ الانتفاع من التجارب التي سجلتها الالام المطوية على صفحاتها الخالدة . ويقضي الواجب على المؤرخ ان ينتقي اصدق الروايات مما دونه كتبة الوقائع معيذا منها الفث من السمين . ولا مشاحة في ان هؤلاء المدونين يختلفون في ادواقهم ومشاربهم وآرائهم فمنهم من يسيطر على قلمه فيدلي عليه ماتهوا لا نفسه غير مكترث للحقي ومنهم من يكتب ما يوحى اليه ضميرة وهو على غير هدى ومنهم من لا يسطر شيئا الا قد تروى مليا في الامر وتبصر فيه وسبر غوره فيتوخى الواقع غير هيب ولا وجل .

ان مصادر تاريخ العراق للقرن الثامن عشر قليلة فرأيت ان اضيف اليها تعريب صفحة جاءت تبثنا عن حالة البصرة في احدى سني الربع الاخير من ذلك القرن الغابر حينما استولى عليها تويني العبدالله المعروف بـ « ابي قريحة » (٢) (بالتصغير والتأنيث) تاركا للمؤرخ النصف ان يتحرى اصلق المأخذ مؤيدا رأي هذا ومزيفا فكر ذاك وهو ما يطلبه التاريخ الحق .

وقبل ان اقدم على التعريب لا بد لي من ابداء كلمات وجيزة للتعريف برعيم المنتفق الشيخ تويني العبدالله المجدد المانع . ومحمد هذا هو ابو سعلون الذي تعرف به اليوم الحمولة السعدونية الشهيرة التي كان اباؤها يسمون بـ « آل شبيب » قبل عصر

(١) Voyage en retour de l'Inde par terre... par Thomas Huwelle M.D. traduit de l'Anglais par Théophile Mandras, Paris au V (1727) P. 23-24.

(٢) هي ابنته واسمها قريحا قصه بر قرحاء وفي المنتفق في الفراف ارض اسمها « الاقرح »

واخرى اسمها تل قرحه (تل قرحا) ولا بد ان اسم « قريحة » مأخوذ من المعنى الفصيح

ويظهر انهم ارادوا بقرحا بقاء او ما ضاهى هذا المعنى . الكاتب

سعدون ونبوغه . وما شبيب إلا أحد الجدود الأعلين ذوي الشرف الباذخ والسؤدد العزيز . فتوئني إذن هو من آل شبيب وهو ابن أخي سعدون . وقد ابتدأت زعماء للمرة الأولى سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) على أثر قتل الخزاعل (خزاعة) ثامر ابن عمه سعدون (١) . وليست تسمية آل شبيب بفرية عنا بل هي معروفة في عهدنا هذا أيضا وهي تطلق على اقرباء آل سعدون الذين يمتون اليهم بشبيب . وبعد هذا التمهيد اعود الى صاحب الرحلة وهو من موظفي شركة الهند الشرقية وكن في البصرة في شباط سنة ١٧٨٨ م (١٢٠٣ هـ) أي بعد الواقعة ببضعة اشهر فقط . وقد قال ماتعريبه :

« لم تبق تجارة البصرة زاهية كما كانت عليه قبلا لكنها لا تزال المخزن التجاري الأهم في هذه الأصقاع فيشرى التاجر فيها وأما حاكمها فهو تركي (٢) وسكانها عرب وقد توطنها أسر تركية وارمنية .

« وكن الشيخ ثويني - الشيخ العربي القدير - قد استولى على هذه الحاضرة في سنة ١٧٨٧ م (١٢٠٢ هـ) بتدبير الصائبة فقاجاً حاميتها واحتل المدينة بدون مقاومة . والأمر الذي يجب توجيه النظر اليه انه لم يصب إذ ذاك احد من سكانها بلهانة ولم يتجاوز احد على مال لاحدهم . ولم يطلب الشيخ من سكانها غرامة حرية . وبعد ان استولت جيوش الشيخ بنصف ساعة عادت شؤون الناس تجري بانتظام لا شبه ما يخل به فكأنهم لم يقع هناك حادث يفوق العادة (٣) .

(١) كتاب دوحه الوزراء التركي وهو في تاريخ المرقى ومؤلفه رسول افندي حاوي ابن الملا يعقوب الماهوني الاصل وتجد ترجمته في جريدة « العرب » العدد ٢٨ في عدد ٢٨ المؤرخ في ٣ ايلول سنة ١٩١٧ وكانت وفاته سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م)

(٢) كان مقسما ابراهيم افندي (دوحه الوزراء في وقائع سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) وفي مختصر مطالع السمود بطيب اخبار الوالي داود : ابراهيم بك . الاصل لابن سند منه نسخة مخطوطة في خزانه كتب جامع مرجان ، والمختصر لامين بن حسن الحلواني طبع في بومبي سنة ١٣٠٤ هـ

٣١ جاء ذكر الواقعة في دوحه الوزراء وجاء في رساله تجارية « رسالة من البصرة معاصرة لذه الحوادث ان ثويني استولى على البصرة في ايار سنة ١٧٨٧ م (١٢٠٢ هـ) ثم قدم والي بغداد فلسترجمها منه في آب من تلك السنة .

« ان الشعوب الممثلة في المدينة والعلم لتتبط هذه الحالة الداعية الى الشرف وهي ترينا انه مع ما عليه الاعراب من ميلهم الى السلب والنهب فان لهم انظمة ودساتير تبعث بهم الى حب السلام. رائدتها الطاعة القصوى لرئيسهم وهو روح النظام العسكري .

« اما الشيخ فهو كهل شجاع باسل ذو اقدام على العمل قل من يفوقه وهو عزيز لدى وطنيه لحسن تبصره في الامور وتوقد ذهنه وجنوحه الى جانب الحق ولاعتداله الذي يتمشى عليه في شؤون امارته ولقد جعلته هذه الصفات محترما عند الناس كافة .

« دام حكم الشيخ في البصرة ثلاثة اشهر ثم علم ان باشا بغداد (١) - وهو متبوع الشيخ في تأدية الضريبة - كان قد قدم لمحاربته بجيش قوامه ستة آلاف جندي فجمع الشيخ قواها واتجه بها الى شواطئ الفرات ليقابل عدوا فالتقى الجيشان هناك على بعد من البصرة واشتبك القتال واستمر بين الفريقين ولم تنجل النتيجة الحاسمة باوى. بل باتت اخيرا بجانب الاتراك وانفل العرب ففر الشيخ البائس يتبعه بعض ذويهم وقد نجوا من ملحمة النهار . ثم خطب الشيخ ود الباشا مستميلا اياه وطلب اليه المعذرة عما صدر منه ولكن الباشا رفض طلبه واقام مقامه « شيخا » غير (٢)

« اجل. ازال حكم ثويني من البصرة ولكنه بقي يرأس عشيرة كبيرة تبذل نفسها لخدمته خدمة نصوحا لحبا اياه وشفقيا به ولا يبعد ان يصبح عدو الباشا الازرق ان لم يعد الباشا الى منصبه » اه

مر الرحالة المراق قافلا من الهند ووجهته لندن فوصل اليها والقي عصا الترحال فيها ثم نشر رحلته وبي مطاويها كلمته الاخيرة عن الشيخ ثويني ثم جاءت الوقائع مصداقا لما ارتآه اذ اضطر والي بغداد سليمان باشا وهو في اخرج المواقف الى اعادة الشيخ ثويني الى منصبه للمرة الثالثة ليستعين به على محاربة الوهابي فترجع الشيخ على مسند (٣) الحكم ورجل الى انحاء نجد للايقاع بالعدو لكن عبدا اسمه طعيس (٤)

(١) سليمان باشا (دوحه الوزراء) وتاريخ جودت ٤ : ١٠١

(٢) هو حمود التامر السعدون (دوحه الوزراء) (٣) وصفته في هذه المجلة ٢ : ٥٠٧

(٤) الطعيس التل من الرمل ولماها تصحيف الدعص الفصيحة .

(بالتصغير) وهو من عبيد جبور بني خالد، اغتاله هناك في موضع اسمه الشباك (١)
(وهو ماء في ديرة بني خالد) في اليوم الرابع من المحرم سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م).
وقتل القتال في ساعته وهو ينتمي الى الوهابيين. وقد جرت قصيته مذكاة مثالا
يضرب به عند المتفق فيقولون: «باع بيعة طميس» يريدون بها انه صمم على
الامر ولا يرجع عنه ولو يعقبه الموت الزؤام. ويقال ان قبر ثويني معروف
في تلك الانحاء.

وهنا اختتم حاشيتي التي جئت كذيل لما اردت تعريده من ذكر عهد تباعد
وبقي تاريخه في تضاعيف الكتب والاسفار.

يعقوب نعوم سر كيس

معرفة يوم الشهر القمري

من يوم الشهر الشمسي

Comment reconnaître le quantième d'un jour lunaire

اذا اردت ان تعرف يوم الشهر القمري الذي انت فيه من يوم الشهر الشمسي
الذي انت فيه، احسب عدد الشهور منذ آذار الى الشهر الشمسي الذي انت فيه
ثم زد على ذلك عدد ايام الشهر الشمسي الذي انت فيه. واطرح من هذا المجموع ١٤
فيخرج عنك يوم القمر في الشهر الشمسي الذي انت فيه على ما ينهيه اليه الفلكيون
والأطرح ١٦ يكن عنك اليوم القمري على ما يرى هلاله رؤية العين.

مثال ذلك تريد ان تعرف يوم الشهر القمري وانت في ١٧ كانون الاول
فعدد الأشهر من آذار الى كانون الاول هو ١٠ تضيف اليه ١٧ وهو اليوم الذي
انت فيه من كانون الاول فيكون المجموع ٢٧ ثم اطرح من هذا الرقم ١٤
فيخرج ١٣ وهو يوم الشهر القمري عند الفلكيين وإلا فاطرح ١٦ فيخرج ١١
وهو يوم الشهر بالنظر الى اول يوم من رؤيته هلاله.

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ٧٥:١ ودوحة الوزراء ومختصر مطالع السمود ونسبي
بعضهم الشباك) كانوا جمع الشبكة) ويلفظونها بالسكان الشين وباء مبهم الحركة وكان
ينطق بها كالحيم الفارسية الثلاثة وفي الاخرها. وذكر معجم البلدان لياقوت عدة مياه بهذا
الاسم ونسبها. والشبكة الابار المتقاربة. (الكتاب وجميع الحواشي السابقة له).